

دلالة الصيغة الصرفية الإفرادية في حكاية العشاق لمحمد بن براهيم

أ.د. سعاد بنسناسي
جامعة وهران 1 / أحمد بن بلة

الملخص:

إن مخبر (اللهجات ومعالجة الكلام) ومجلة (الكلم) الصادرة عنه، يتihan الفرصة لكل باحث ومتخصص في مجال اللغة والأدب والتّراث والثقافة الشعبية بمختلف المجالات، وتنوع الموضوعات، ومن أجل البحث في إحدى الإشكالات المطروحة، وقع اختيارنا على (حكاية العشاق) من أجل التعامل مع مبانها اللسانية؛ ذلك لأن مؤلفها جزائري، يتمتع بثقافة واسعة في مجال الأدب، والشعر، والعلوم الفقهية.

هذا إضافة إلى أن هذه الرواية تعد من أوائل الروايات العربية إن لم تكن أولها؛ أما في الجزائر، فهي الأولى حتى هذا التاريخ إلى أن يظهر ما ينفي هذا الموقف، ويغير الرأي فيه.¹ ومن أسباب ارتکازنا عند هذه الرواية، أن لغتها تظهر في النّظرية الأولى لها، سهلة بسيطة سرعان ما تنجلی عن مغزى عميق المحتوى تميّز البناء؛ مما يؤهلها لأن تكون أنموذجاً أولياً، لظهور هذا الفن واستقلاله بشكله ومحتواه وتقنياته، ثم مثالاً فنياً يحتذى، وجنساً أدبياً يراد.

اللغة وسيلة من وسائل التّواصل الاجتماعي، بها يتم التّعبير والتّبليغ والتعامل بين الأفراد والجماعات، وبها يعبر الإنسان عن أفكاره وعواطفه، ويُخاطب غيره مرسلًا ما عنده إليه، كما يستقبل بها ما عند غيره إليه، والمفهوم من هذا كلّه، أنها ظاهرة اجتماعية فكريّة. ومن هنا تُعدُّ اللغة أهمّ موضوع نتكلّم عنه باهتمام واندهاش، فهي السلاح والوسيلة التي لولاهما لما بلغت

الإنسانية هدفاً واحداً من أهدافها، ولما كان لها أقلّ أمل في الحصول على مثقال ذرة من المعرفة² ولو لاتها لما كانت علوم، ولا فنون ولا ديانات، ولا فلسفات. وفي الدراسات اللسانية يمثل الصرف المستوى الأساسي، فهو يأتي بعد المستوى الصوتي الأساسي لكن دراسة لغوية؛ ما دامت اللغة أصواتاً معبرة دالة، كما أن الصرف باعتباره يتجه إلى المفردات، على مختلف أصنافها وأجناسها، فهو أساس كل المباني اللغوية وحجر زواياها.

لقد أثروا التعامل مع رواية (حكاية العشاق في الحب) والاشتياق لمحمد بن ابراهيم³ لغويًا في هذا العمل من أجل دراسة صيغها الصرفية الإفرادية؛ لأنّ لغتها عامية، وأنّ العامية الجزائرية من خلال هذه الرواية تظهر قربة من الفصحى كثيراً؛ حتى ليظنّ القارئ لها أنّ بها أخطاء لغوية تحتاج إلى تصحيح، ويغيّب عن ظنه أنها بالعامية الجزائرية القريبة من الفصحى، فلقد كتبت الحكاية بأسلوب رقيق رفيع، جمع بين النثر الصافي الذي يكاد أن يكون فصيحاً، والشعر الملحون، مما أظهر مدى ثقافة المؤلف الأدبية والفقهية والاجتماعية.

الصيغ الصرفية الإفرادية الحديثة في الحكاية

تحدّثنا عن الصيغة الحدّيثية، ورسمنا لها جدولًا اشتمل على أحد عشر عنوانًا، وكان أول هذه العناوين للمباني ويعدّ وادي المباني أساس العمل وعموده الفقري في كل صيغة صرفية إفرادية، وسنجد مكروراً في كل جدول من وديان هذا البحث، وذلك أن كل ما يليه في جميع الجداول وفي جميع العناوين، مستوحى منه، ومبنيٌ عليه، ومرتبط به، ويتحرّك في فلকه، ويعود إليه في استنتاجاته، ولا يحيد عنه أبداً.

وبقية عناوين جدول الحديثات بعد المباني، هو الرَّمان بجميع أقسامه، ثم مكونات الصَّيغة الحديثية بكل تلويناتها، متلأة بمادة الصَّيغة بتعدادها، ثم الْواحِق بأنواعها ومواضعها، وبعدها حركة عين الصَّيغة، على مختلف تشكييلاتها، ثم الصَّحة والاعتلال بكل ما فيه، وانتهينا إلى الإسناد ووظيفته.

وتحت هذه العنوانين، تأتي التقسيمات والزواحف، وقد بلغ عددها ستة وعشرين وادياً حصرنا فيه (6630) صيغة حديثة إفرادية، ومجموع خاناتها (10.1970.10) وتفصيل الوديان ومحاتوياتها سنتبه في موضعه من هذا البحث. ويختص هذا العنوان بجدول توضيحي يشتمل عنوانين فرعية، وكان تصميمه على الشكل الآتي: العنوان الأول للمادة الأصلية، والثاني لزمنها، والثالث للمكونات، والرابع للواحد، والخامس لحركة العين، والسادس للصحيح من المبني، والسابع للمثال، والثامن للأجوف بواديه، والتاسع للفيف بنوعيه، والعاشر للناقص بشقيه، ويختص الوادي الأخير من هذه الوديان بالإسناد، وفيه ثلاثة وديان أولها للصيغة الحديثة الفعلية.

والملاحظ بعد إجراء مجمل الإحصاءات اللسانية وفق جداول، أن الصيغة الحديثة كانت شائعة في الرواية، كما يلاحظ شيع الماضي على غيره من الأزمنة؛ ذلك لأنّ موضوعها حكاية، والحكاية سرد لما وقع، وحديث عما انتهى، ومفهوم السردي يشمل الحكايا الشعبية، والأساطير، والأحلام، والأفلام، والمسرحيات⁴ ومنه فقد غالب على الحكاية الحديث عما مضى، والحنين إلى هذا الماضي يظهر من خلال مكونات الصيغ، ومستوياتها الصوتية، ومواقعها السياقية.

كما هو معلوم أن الماضي له مكانة خاصة في ذاكرة العربي بعامة، والجزئي بخاصة، كما دلّ على وفاء الكاتب لماضيه، ومحبته، إضافة إلى ذلك فمباني الماضي تستوعب معظم الحالات وال حاجات، والموافق أثناء الكلام، وكذا التعبير عن مختلف الضروريات.

الصيغ الصّرفية الإفرادية الذاتية في الحكاية

خصصنا العنوان الثاني للصيغة الذاتية الإفرادية، وقد تكون جدولها من تسعة عناوين، هي: وادي المبني الذاتية، متبع بجنس التذكير والتأنيث، بنوعهما الحقيقى والمجازى، ثم العدد بأقسامه ومستوياته، ثم الدّوافع بصنفهم المقياس وغير المقياس، ولكلّ قسم منها تقسيمات. وبعد هذا، يأتي عنوان الصحة والاعتلال لكل المعتلالات، وحال العلة في كل الموقعيات، وقبل الأخير خصصنا للتعرّيف والتنكير عنواناً، لنتهي بالتقسيمات إلى عنوان الإعراب بأقسامه

وعلاماته، تحت هذه العنوانين جميعها، انطوى خمسة وعشرون وادياً، تجمعت فيه (1325) صيغة ذاتية إفرادية توّزعت على خانات بلغ مجموعها (34.450) خانة. وبعد تحليل الصيغة الذاتية والذاتية نلتقي مع الصيغة الوصفية، بشقيها المفرد والمركب، وجدولها مماثل في هندسته وعنوانيه للصيغة الإفرادية الذاتية بوديانه وخاناته؛ إلا أنه يختلف عنه في طريقة التناول والدراسة والتحليل، وكان مجموع الصيغة المرسومة في هذا الجدول (903) صيغة وصفية، ومجموع خاناته (23.4.78) خانة.

وما نريده من هذا الإحصاء، هو أن يكون العمل دقيقاً واضحاً صادقاً في التحليل والوصف والرأي، والذي نتعامل معه من خلال هذه العملية الإحصائية هو العدد النهائي لمجموع الصيغة الذاتية، ومن أجل ذلك جعلنا للصيغة الذاتية تقسيمين متباينين، أحدهما للإفراد وثانيهما للتركيب، ونريد بذلك إقامة الفرق بين المركب لفظاً المفرد معنى، في مثل (زهرة الأنف) والمفرد لفظاً ومعنى في مثل (الثاجر).

ورسمنا للصيغة الذاتية المركبة لفظاً، المفردة معنى جدولًا خاصاً بها. جمعنا فيه كل عناصرها ومكوناتها، وجدول هذه الصيغة ووديانه متماثلان بين هذه والسابقة لها في الذكر، وفي المركبات يجمع كل أنواعها من إضافية متصلة في مثل (صاحب) وإضافية منفصلة في مثل (صاحب الدار) وعدديّة في مثل (عشرين ديناراً).

رَكِّزنا على التأنيث والتذكير في الرواية؛ فوجدنا أمثلة التأنيث بنوعها الحقيقي والمجازي أقل من المذكور، وكانت في معظمها دالة على الأوصاف، نحو: (البريري، العبد، الملك والشيخ...) أو وظائف (التديم، الثاجر، العطار...) وهي أسماء وأوصاف بالوظيفة، كما لاحظنا شيوخ الندوات المجازية (673) وبعدها الحقيقة بمجموع (652) صيغة؛ فال حقيقي مثل مواقف القوة والقدرة والصلابة، والمجازي على كثرته عكس ذلك، وكان المؤلف يميل للحقيقة حيناً وللمجاز حيناً آخر، وأن حقيقة الذات غابت عن جوّها ومجالها، وتهربت من واقعها المؤلم؛ فصار كل شيء مجازاً، وتعليق المجازي في النص أن الكاتب كان يهرب من حاضره وواقعه المريض، ومن أحداث عصره المحزنة؛ فلجاً إلى المجاز ووجد فيه راحة نفسية.

الصيغ الصرفية الوصفية التركيبية في الحكاية

يتكون جدول الصيغ الصرفية التركيبية، من أحد عشر عنواناً، وأربعة وثلاثين وادياً. ويتحقق في هندسته وتقسيماته مع جدول الصيغ الذاتية الإفراديّة والوصفية في عناوينها ووديانها، إلى وادي الإعراب؛ حيث يضاف إلى ذلك وادي التركيب بخاناته الأربع: الإضافي المتصل، والإضافي المنفصل، والمزجي، والعدي. ووادٍ ثانٍ للإسناد مع المتكلّم والمخاطب والغائب والخيالي. وفي هذا الجدول، جمعنا (960) صيغة وصفية مركبة، وحصرنا مكوناتها في (32.640) خانة. ولقد آثرنا الحديث عن المفردات التركيبية أو الأسماء المزجية⁵ مع أنّنا رجّحنا عبارة التركيبية عن المزجية، لأنّ التركيبية أعمّ، والمزجية مصطلح صرفي؛ والتركيب مصطلح لغوّي، وقد عثّرنا على تشكيلات مركبة من أكثر من هيئة وتدلّ على شيء واحد، كالمضاف مثلاً.

كما ظهرت لنا في الحكاية أسماء كثيرة مركبة اللفظ وحيدة المعنى، مثل (زهرة الأننس) وهي امرأة واحدة، وفي مثل (صاحب الحديث) وهو رجل واحد، ومثل هذا كثير ودلالته في التركيب متميزة عن إفراده، كما أنّ المضاف نوعان، إفراديّ وهو المجتمع العناصر الوحيدة الشكل المتعدد المعنى في مثل (صاحبه) فهو مفرد التركيب متعدد المعنى. والتّنوع الثاني من المضاف هو المتعدد التركيب المفرد المعنى في مثل (زهرة الأننس، وابن الملك) وهذا ما يعرف بالتركيب الإضافي. ويبقى بعد هذا التركيب العددي مما له وجود في الحكاية.

ولاحظنا في الأوصاف الإفراديّة شيوع أسماء الفاعلين؛ لأنّها أدّت وظيفتين في النص الأولى صفةً تغيير النّطق من (علم) مثلاً إلى (عالم) وأخرى دلالية حصلت بنقل هذه الصيغة من الفعلية إلى الوصفية، ومن حيث الاداء والوزن ظاهرة نحوية. ودللت الصيغ الوصفية (خالق،

مجلة الكلم - العدد الأول

الواصف، الحائر، الراغب، الناطق، السائل...) على المفرد، وترواحت بين المذكّر والمؤنث المجازين، وهي للذات الإنسانية؛ ولكن شاع المذكّر (741).

وكتُر مجئ اسم الفاعل على وزن (فاعل، وفعّل) بفتح العين والفاء سواء كان متعدّياً أو لازماً؛ ولكنّه جاء قليلاً بوزن (فَعَلْ) بكسر العين إذا كان لازماً أو متعدّياً، وتعليل ذلك أنّ اسم الفاعل هنا بكسر العين في الرواية، يدلّ على عدم الدّوام والثّبوّت، وهذا لا يتنقّل وحقيقة اسم الفاعل، وكذا حقيقة المؤلّف وأحواله وحالته النفسيّة المتغيّرة والمبدلّة، والمتقلّلة من حين لآخر.

وخلالصّ ما يقال في الصيغ الوصفية، إن المذكّر كان دوماً غالباً، والحقيقة منه شائعاً، والمفرد كثيراً، بدليل طغيان الوحدانيّة، والذّات المتردّدة بأوصافها. وأغلبها كان دالاً على الذّات الإنسانية، مما يدلّ على كثرة حضور الشخصيات، ثم العقليّات التي تنمّ عن اطّلاع الكاتب على بعض الجوانب الفقهية، وبالتالي كان للحكاية ثلاثة أبعاد جمّيعها مستقاة من مستويات المبني اللغويّة في حكاية العشاق

جدول شيوخ المذكّر

التركيبية الإفرادية	الإفرادية الوصفية	الذاتية الإفرادية	الصيغة
(548)	(741)	(719)	المجموع
57.08	82.05	61.88	النسبة
03	01	02	الرتبة

نلاحظ من خلال موازنة الأعداد، غلبة الصيغ المذكورة الذاتية والوصفية في الإفراد، وكان الكاتب لم يترك ذاتاً في الحكاية إلاً وصفها، وبين ملامحها الجسدية، وسماتها النفسيّة، وتأتي بعدها الصيغ التركيبية الذاللة على كمال وتركيب الذوات، وقد دلت بعلاقة عناصرها وتماسك بناءها على قوتها ومتانتها في كل بناء.

جدول شيوع المؤنث

الصيغة	المجموع	الذات الإفرادية	الإفرادية الوصفية	التركيبية الإفرادية
المجموع	(405)	(162)	(412)	
النسبة	38.11	18.60	42.91	
الرتبة	02	03	01	

إن هذا التزايد الملحوظ يدل على نمو الوعي وفرض النفس، والتعاون بعد أن كانت الدوّات سابقاً إفرادية مفردة لا تفكّر إلا في أحوالها وأمورها الخاصة؛ مما يدل على أن امتزاج العناصر ببعضها وتالفها وانصهارها في وحدة مستقلة، متميزة بعطاها قوة ويسّرها متانة وصلابة، يجعلها تفرض نفسها في مجال عملها، وتتأثيرها بما يحيط بها.

وقد اجتمعت عناصر البناء اللساني في وحدات مفردة المعنى، مركبة العناصر جعلتها تشغل حيزاً واسعاً في البناء، وقد تبيّن ذلك في الجدول السابق، وصار المؤنث الضعيف في المجتمع حقيقة ثابتة فيه.

وبعد هذا نقول: إننا تعاملنا في حكاية العشاق مع (9.8.18) صيغة إفرادية من حداثية وذاتية ووصفية بنوعها الإفرادية والمركبة، وأحصينناها في (2.89.5.78) خانة. ومعنى هذا أن كل عدد من أعداد الجداول والخانات فيه فكرة، وصورة، وتصور، وهدف، واستنتاج.

كان مجموع صفحات الحكاية المختصة (132) صفحة. ومجموع سطور الحكاية (26.65) سطراً، ومعدل السطور في كل صفحة (20) سطراً بالتقريب. والمعدل الطولي لكل سطر (10 سم) تقريباً. والامتداد الكافي التقديري لسطور الحكاية (26650 سم) أو (266 م) والمساحة المكتوبة في كل صفحة (200 سم²) والمساحة المكتوبة في كل الحكاية (64.2 م²).

مجلة الكلم - العدد الأول

لقد كانت البداية في الحكاية، تذكّرنا بقصة سيدنا يوسف . عليه السلام . والمضمون منها يشبه قصص العشاق العرب، كمجنون ليلي، وجميل بثينة، وعنترو عبدة، وابن زيدون وولادة وبخاصة في جوانب الوفاء بالعهد والصدق في الحب والوفة والإخلاص.

وفي نهاية حكاية العشاق نلمس صوراً وتلميحات للتضوف، والتشبّع بالثقافة الإسلامية. وقد غلت العلة على المباني الإفرادية؛ وذلك شبيه باعتلال الكاتب وضعف أحواله. وقد دلت التكرارات على تنكّر الظروف للكاتب وأحواله، وتکاثر مشاكله.

وشاعت حركة الجرّالة على ضعف مستوى الاجتماعي، وانخفاضه، وانكسار حاله، ثمّ محاولته لرفعها أو جعلها حياديّة بالفتح الذي ينتظره فهو في موقف بين الموقفين. وفي جميع الحالات حالة الكاتب، قلقة، مضطربة، متأثرة بالمستجدات والطوارئ، منتظرة ما تجود به الأيام وتستجدّ به الأحداث من ملامح التغيير الإيجابي؛ لاسترجاع مكانته، واستقرار حاله.

هامش البحث:

1. كانت هذه المدونة مجال تطبيق بحثنا لإعداد الماجستير الموسوم بـ: (الصيغة الصرفية في حكاية العشاق لمحمد بن إبراهيم دراسة وصفية تحليلية) سعاد بنسامي، إشراف، د. مكي درار، جامعة وهران، 2002م. طبعت بعد تنقيحها وتعديلها وعنوان: (دراسة لسانية للمباني الإفرادية في حكاية العشاق) ط1، دار أم الكتاب، مستغانم، 2015م.
 2. المجموعة الكاملة، ميخائيل نعيمة، بيروت لبنان، ط1، 1970م، ص486.
 3. محمد بن إبراهيم الملقب بالأمير مصطفى باشا من مواليد (1806م) في مدينة الجزائر، وقد كان والده من الذين لعبوا دوراً بارزاً في مقاومة الاحتلال الفرنسي، وقد اطلع ولده مصطفى على كثير من تطورات الوضع السياسي والعسكري والاجتماعي أثناء الفترة الأولى للاحتلال، كما صحب محمد ابن مصطفى والده في رحلة إلى المشرق وأوروبا؛ إلا أنَّ محمد بن إبراهيم فوجئ بفقدان ثلاثة من أفراد أسرته في عام واحد (زوجته في شهر محرم، وابنه محمد في صفر، ووالده في ربيع الثاني من عام 1262هـ) ثم تولت عليه بنات الدهر ففارقه أخوه، وخرج من داره القديمة؛ ولكنَّه بقي في مدينة الجزائر. لقد تعرض محمد بن إبراهيم، إلى مضائقات من الاستعمار الذي صادر أملاك أسرته وسجن والده واضطهده، ومع ذلك بقي على موقفه الثابت في الحياة. وقد كان فقيها، وأديباً، وشاعراً. وترك لنا ما يثبت ذلك مسجلاً بقلمه في قصة سماها (حكاية العشاق) انتهى من تأليفها يوم السبت بعد صلاة العصر في شهر جمادى الأولى من عام (1266هـ). توفي في شهر إبريل من عام (1886ميلادي) كما أنَّ روایته تعتبر من أقدم الروايات العربية في الفن القصصي.
- *- لم نورد الجداول هنا في المتن، واكتفينا بوصفها وتحديد مكوناتها، ومجاميعها النهاية لكي لا تأخذ حيزاً كبيراً من البحث.

مجلة الكلم - العدد الأول

-
4. السردية حدود المفهوم، مقال في مجلة الثقافة الأجنبية، العراق، العدد الثاني، 1992م.
وينظر هندسة المعنى في السرد الأسطوري الملحمي، ص 137.
5. المركبات اللغوية أنواع، منها المركب لفظاً المفرد معنى، كالمضاف مع المضاف إليه. والمفرد لفظاً المركب معنى كالأعداد والمنحوتات. والمفرد معنى ولفظاً كأسماء الذوات. يراجع في المركب وتقسيماته عند القدماء والمحاذين (الجملة العربية، دراسة لغوية نحوية) محمد إبراهيم عبادة. الناشر منشأة المعارف بالاسكندرية مصر، 1988م.